اللواء

ثقافة

في سبيل تناغم بشري

١٢ أيار ٢٠٢٢

انَّ إمكانية اقتطاع بالتفضيل لتعليمات واردة في كتب التوحيد الثلاثة، كان من شأنها أن تولّد أفضل النتائج. فالارتكاز على تحريم القتل الوارد في تثنية الاشتراع بالعهد القديم، الذي استحال واجباً مطلقاً لا يحتمل أي إستثناء، وتجلّى على أفضل وجه في المقولة الانجيلية القائلة بمحبة القريب ورفض كل ما من شأنه أَنْ يخالف هذا الواجب المطلق، وكذلك التعويل في كل شيء على السورة القرآنية التي تنصُّ أنّ قتل إنسان فرد يعني قتلاً للإنسانية جمعاء... ان كل هذا وسواه يجعل من الديانات السماوية الثلاث جديرة بالاحترام والمحبة... ان احترام المؤمنين كل دين يسعى إلى الرجاء والمسامحة أو الغيرية بدافع من الرحمة، هو موضوع ثقة هي فضيلة الأقوياء .ولكنَّ الانتساب الظاهر الى كل معتقد بلا كبير تفكير أو عناء، يقتضي شيئاً من التأمّل والتدقيق.

ان اكتشاف ضخامة الزمان وضآلة الحياة يرشدنا إلى ما هو سامٍ وكيفية الميل إليه والسير به فيكتشف كل إنسان مكانه فيه، في الكون والعالم والطبيعة وتالياً بين البشر كافة. ان جوهر الفكر الاغريقي واليوناني النيّر قد هجَّنه ففعّلَهُ وحيَّنَهُ التقليد اليهودي والمسيحي والإسلامي، شأنه أَنْ يولّد روحانية وجدانية وعملية معاً، وهو يناسبني مثلما القفاز في يدي .

ومهما يكن من أمر، فانني أرى ان بعض الملحدين الشرفاء هو أكثر قدْراً من عدد من المتزمّتين من كل الأديان.

لا شك في ان الدين بل الإيمان هو غير المعرفة، ولكنّ هذه المقولة لا تُلغي ضرورة إعمال البصيرة والعقل السليم والاعتدال التي يركن إليها كبار المتنورين في الأديان كلها وأحياناً لدى الملحدين من الشرفاء العقلاء تحت كل سماء.

مع بدء القرن الواحد والعشرين، لا بدّ أن يستحلف اتباع الديانات ونحن في صفوفهم، اخوتهم في البشرية وملاقاة غير المؤمنين للاقتناع بأن لا شيء أقدس من حوار الضمير مع نفسه، وبأنه لا يعقل تأليه إنسان أو شعب أو تاريخ أو أرض. ان على اتباع هذا الدين أو ذاك واجب التواضع والفضيلة والنزاهة.

لا شك في ان التفاهة والقسوة متلازمتان في الطبيعة البشرية. ويقضي الحل بأن يلجأ الجميع إلى روحانية ما نلقاها في الأديان كلها وكذلك الى رحمة وإلى نزاهة فاضلة. ثمة ضحايا تمسي في صفوف الجلاّدين والعكس بالعكس، تبعاً لنظرية السيّد والعبد عند الفيلسوف هيغل. فإلامَ هذا الوضع البشري المأزوم؟

د. جهاد نعمان
أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه